

## المحاضرة (٧)

### غزوات الرسول

اذن الله للمسلمين بالقتال والدفاع عن أنفسهم بعد أن تعرضوا للظلم والتعذيب والتشريد ، واضطروا إلى ترك مكة وهاجروا إلى "المدينة" "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ (٤٠)" (الحج ٣٩-٤٠) وقد قاد النبي - صلى الله عليه وسلم- بنفسه سبعا وعشرين غزوة ، قاتل في تسع منها ، هي "بدر" ، و"الخندق" ، و"بنو قريظة" ، و"بنو المصطلق" ، و"خيبر" ، و"فتح مكة" ، و"حنين" ، و"الطائف".

وأنا ب - صلى الله عليه وسلم- بعض أصحابه في قيادة سبع وأربعين حملة عسكرية . والتزم المسلمون بقيادة النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزواتهم بآداب الحرب ، وكانت أوامر النبي - صلى الله عليه وسلم- واضحة وصريحة في إبعاد من لا مشاركة له في الحرب عن الحرب وأخطارها . فمنع قتل الأطفال والنساء والشيوخ لأن الإسلام جاء لينى الحياة ويعمرها، لا ليدمرها ويهدمها .

وستعرض لأهم الغزوات التي خاضها النبي - صلى الله عليه وسلم- وهي :

#### • غزوة "بدر" الكبرى:

وقعت هذه الغزوة في (١٧) من رمضان من السنة الثانية للهجرة عند بئر "بدر" الذي يقع بين "مكة" و"المدينة" ، وسبب هذه الغزوة أن النبي - صلى الله عليه وسلم- علم أن "أبا سفيان بن حرب" زعيم "قريش" عائد من "الشام" إلى "مكة" على رأس قافلة تجارية ، فقرر التعرض لها والاستيلاء عليها ، تعويضاً للمسلمين عن أموالهم التي استولت عليها "قريش" في "مكة" ، وهذا حق وعدل ، ولم يكن للنبي - صلى الله عليه وسلم- أن يترك "قريشاً" حرة طليقة، تجوب الطرق، وتتاجر وتربح، وتدبر المكائد للمسلمين ، وكان لابد من التصديق على "قريش" وتهديدها في تجارتها ، التي هي رزقها ومصدر قوتها؛ لتراجع نفسها وتتخلى عن عدائها للمسلمين.

ولما علم "أبو سفيان" بأبناء تحرك المسلمين ، أرسل إلى "قريش" يستنجد بها ، فبعثت بجيش يضم خير شبابها وفرسانها، وعلى رأسهم "أبوجهل" ، لكن القافلة التجارية نجحت في الهروب من قبضة المسلمين الذين وصلوا إلى بئر "بدر" ، وعلى الرغم من نجاة القافلة فإن "أبا جهل" أصر على قتال المسلمين، ورفض الرجوع إلى "مكة" ، وكان كثيرون من زعماء "مكة" يودون عدم القتال .

وإزاء إصرار المشركين على القتال لم يجد النبي - صلى الله عليه وسلم - مفرًا من دخول المعركة بعد أن استشار كبار صحابته الذين كانوا معه .

وكان عدد المسلمين في هذه الغزوة (٣١٤) رجلاً من المهاجرين والأنصار، في حين كان جيش "قريش" يقترب من الألف، ويضم كبار رجالات "مكة" وأبطالها، وبدأت المعركة في صباح يوم السابع عشر من شهر رمضان بالمبارزة، حيث خرج ثلاثة من أبطال المشركين يطلبون المبارزة، فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - عمه "حمزة عبد المطلب"، وابني عمه "علي بن أبي طالب"، و"عبيدة بن الحارث" بالخروج إليهم، فنجحوا في القضاء على فرسان المشركين وقتلهم .

ثم انطلق المشركون بعدها في الهجوم الكاسح، لكن المسلمين تحملوا هذا الهجوم وتصدوا له بالإيمان والثبات في المعركة، ثم بادلوهم الهجوم، ونزل النبي - صلى الله عليه وسلم - ساحة القتال، وبعد قتال عنيف تصدع جيش المشركين، وقتل "أبو جهل" ومعه كثير من قادة "قريش"، وحلت الهزيمة بالمشركين، وأحرز المسلمون نصرًا عظيمًا وامتألت أيديهم بالغنائم، وقد استشهد

من المسلمين في هذه الغزوة (١٤) شهيدًا، في حين قتل من المشركين سبعون رجلاً .

• غزوة "أحد" :

وقعت أحداث هذه الغزوة في شهر شوال من العام الثالث للهجرة عند جبل "أحد" الواقع شمالي "المدينة"، وكانت "قريش" قد جندت ثلاثة آلاف من رجالها وحلفائها للانتقام من المسلمين، والثأر لهزيمتها الساحقة في "بدر"، وعندما وصلت أخبار هذا الاستعداد للنبي - صلى الله عليه وسلم - أعد جيشه لمواجهة هذا التحدي، وخرج من "المدينة"؛ نزولاً على رغبة الأغلبية من أصحابه الذين رأوا الخروج ومواجهة المشركين خارج "المدينة"، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يميل إلى التحصن بالمدينة ومحاربة "قريش" حين يأتون إليها، لكنه التزم برأي الأغلبية وخرج بجيشه إلى ساحة "أحد"، وجعل ظهر جيشه إلى الجبل والأعداء أمامه، وأمر خمسين رجلاً ممن يحسنون الرمي بالنبل بالصعود إلى قمة عالية خلف ظهر جيش المسلمين، وأوصاهم بالألا يتركوا مواقعهم، سواء انتصر المسلمون أو انهزموا .

ودارت المعركة وحقق المسلمون النصر في البداية وظنوا أن المعركة قد انتهت فانشغلوا بجمع الغنائم التي خلفها المشركون المنهزمون، وفي الوقت نفسه خالف الرماة الذين فوق الجبل أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - وفتحوا مواقعهم ونزلوا؛ ليكون لهم نصيب في جمع الغنائم .

ولما رأى المشركون ذلك تقدم "خالد بن الوليد" - قبل إسلامه - وجاء من الخلف، وانقض على المسلمين مستغلاً ترك الرماة مواقعهم ، وارتبك المسلمون من هول المفاجأة ، واضطربت صفوفهم ، وجرح الرسول في المعركة، وانتهى الأمر بهزيمة المسلمين، وسقوط واحد وسبعين شهيداً ، وأخذ المسلمون درساً غالياً لمخالفتهم أوامر الرسول - صلى الله عليه وسلم .

#### • غزوة "الخنديق" (الأحزاب)

وقعت أحداث هذه الغزوة في العام الخامس للهجرة؛ حيث تحالف المشركون من "قريش" وقبائل "غطفان" و"بنى أسد" لمحاربة المسلمين ، وتجمع لهم جيش من عشرة آلاف مقاتل، وتقدموا إلى "المدينة" للقضاء على المسلمين .

ولما علم المسلمون بهذه الأخبار تحصنوا داخل "المدينة"، وحفروا خندقاً من الجهة الشمالية الغربية من "المدينة" لمنع اقتحام جيوش الأحزاب؛ لأن بقية جهات "المدينة" كانت محصنة بغابات من النخيل يصعب على خيول المشركين اقتحامها .

وصاحب فكرة حفر الخندق هو الصحابي الجليل "سلمان الفارسي" ، وقد اشترك النبي - صلى الله عليه وسلم - في حفر الخندق مع المسلمين وكان عمره آنذاك سبعاً وخمسين سنة.

ولما جاءت جيوش الأحزاب فوجئت بالخنديق، وعجزت عن اقتحامه؛ لأنهم لم يتعودوا على مثل هذه الأساليب الجديدة في القتال ، وطال حصار المشركين للمدينة ، واشتد الكرب بالمسلمين نتيجة لهذا الحصار ، وكان يهود "بنى قريظة" الذين يعيشون في "المدينة" قد نقضوا عهدهم مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - واتفقوا مع الأحزاب على الانضمام إليهم عندما يهاجمون "المدينة" .

وفي هذا الطرف العصيب نجح "نعيم بن مسعود" - وكان قد أسلم - وقدم مع الأحزاب دون أن يعلموا - في التفريق بين الأحزاب ويهود "بنى قريظة" ، وزرع الشكوك في قلوبهما، ثم أرسل الله ريحاً شديدة قلعت خيام المشركين وكفأت قدورهم ، وانقلب الموقف كله بفضل الله تعالى ، وأدرك "أبو سفيان بن حرب" قائد الأحزاب أنه لا فائدة من البقاء ، فأمر الأحزاب بالرحيل ، والعودة من حيث جاءوا، وبعد رحيل الأحزاب قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : "الآن نغزوهم ولا يغزونا أي أن "قريشاً" لن تستطيع مهاجمة "المدينة" مرة أخرى .

#### • غزوة "بنى قريظة" :

وبعد انتهاء غزوة الخندق تقدم النبي - صلى الله عليه وسلم - وحاصر بجيشه يهود "بنى قريظة" لخيانتهم للعهد واتفقهم مع المشركين ، وبعد أكثر من عشرين يوماً طلبوا أن يحكم فيهم "سعد بن معاذ" وكان

حليفهم ، فحكم بقتل الرجال جزاء غدريهم وخيانتهم وحين قضى "سعد" بهذا الحكم قال له الرسول - صلى الله عليه وسلم - : "لقد حكمت فيهم بحكم الله " .

وكان المسلمون قد تعرضوا من قبل لغدر اليهود وخيانتهم فأجلاهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن "المدينة" وأخرج يهود بني قينقاع بعد غزوة "بدر" ويهود "بني النضير" بعد غزوة "أحد" .

• فتح "مكة" :

نقضت "قريش" المعاهدة التي أبرمتها مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في "صلح الحديبية" واعتدت على قبيلة "خزاعة" حليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، فقرر النبي - صلى الله عليه وسلم - فتح "مكة" ، فخرج على رأس جيش قوامه عشرة آلاف مجاهد لفتح "مكة" ، وذلك في بداية الأسبوع الثاني من شهر رمضان من العام الثامن للهجرة .

ولما اقترب المسلمون من "مكة" نصبوا خيامهم وأوقدوا نارًا شديدة أضاءت الوادي، فخرج "أبو سفيان" يستطلع الأخبار فوقع في الأسر ، وأتى به إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأعلن إسلامه ، وإكراماً له أمره أن يبلغ أهل مكة بأن "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه باب داره فهو آمن ، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن" .

وحرص النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يدخل "مكة" البلد الحرام دون قتال ، وأوصى قادة جيوشه بالألا يقاتلوا إلا في حالة الضرورة القصوى وفي أضيق الحدود.

ودخل النبي - صلى الله عليه وسلم - "مكة" فاتحًا منتصرًا وهو الذي خرج منها متخفيًا من ثماني سنوات مضت، بعد أن تأمرت عليه "قريش" لتقتله ، فلما انتهى من الطواف حول الكعبة جمع أهل "مكة" ، وقال لهم : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال لهم : "اذهبوا فأنتم الطلقاء" .

وبهذا ضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - أروع الأمثلة في السماحة والعفو عند المقدرة، وكان في استطاعته أن يثار ممن ظلمه وأساء إليه وإلى أصحابه، وساموهم سوء العذاب ، لكنه لم يفعل !

• غزوة "حنين" :

بعد فتح "مكة" غزا النبي - صلى الله عليه وسلم - "هوازن" و"ثقيف" بعد معركة شديدة ثبت فيها النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد أن فر أصحابه ، لكن النبي - صلى الله عليه وسلم - ظل في ساحة القتال

ينادي : "إلى أين أيها الناس؟ إلى أيها الناس ، أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب" ، وأمام ثبات النبي وشجاعته أقبل الفارون من الصحابة ، وتمكنوا من هزيمة ثقيف وهوازن وغنموا غنائم كثيرة .

• غزوة "تبوك" :

هي آخر غزوة غزاها النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد أن استقر الإسلام في شبه الجزيرة العربية ، وكانت الأنبياء قد وصلت النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الروم يستعدون للهجوم عليه ، فأعد لذلك جيشًا كبيرًا بلغ ثلاثين ألفًا ، وهو أكبر جيش قاده النبي - صلى الله عليه وسلم - وسمى جيش العسرة ، لأن المسافة كانت بعيدة والجو شديد الحرارة، والناس يحيون المقام في مزارعهم وبساتينهم لجنى الثمار والاستمتاع بالظل الوارف ، لكن الدولة يتهددها الخطر، ولا بد من التضحية ، وقد ضحى الصحابة بكل ما يملكون وأسهموا في نفقات الجيش وإعداده وتسليحه ، وقد جهز "عثمان بن عفان" بمفرده ثلث الجيش من ماله الخاص .

وقد سار النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى بلغ "تبوك" فلم يجد شيئًا ، وعلم أن جيش الروم - أقوى جيش في العالم آنذاك - قد فر مذعورًا إلى داخل "الشام" ، فعسكر النبي - صلى الله عليه وسلم - هناك ثلاثة أسابيع ، مكن فيها للمسلمين، ورتب أوضاع المنطقة، وعقد معاهدات مع الإمارات الصغيرة القائمة هناك ، ثم رجع إلى "المدينة" لاستقبال وفود القبائل العربية، التي جاءت من كل مكان تعلن إسلامها وخضوعها لله ولرسوله.